العراق

١ مقدمة تمهيدية عن العراق

كثر الباحثون عن العراق وحالته الاجتماعية والسياسية والادبية ، وعن الحركة الفكرية التي ظهرت في اهاليه، وعن عادات قطانه واخلاقهم وعاداتهم، وملأوا بكتاباتهم صفحات الصحف الكبيرة والمجلات الراقية ؛ الا ان ابحاثهم لم تكن وافية ، ليتمكن القارئ بواسطتها من ان يقف على احواله تماماً، اذ ان بعض اولئك الكتاب من هم ليسوا من اهل البلاد ، فاذا كتبوا ما رأوه باعينهم، دونوه عن غير بحث وتنقيب وايغال ، لعدم اطلاعهم تمام الاطلاع على ما عليه السكان من العادات والاخلاق ، وما جبلوا عليه من الخصال ، وما اتصفوا به من الاوصاف الجليلة ، والمناقب الحميدة . وبعضهم من اهل البلاد ، الا انهم، ويالاسف! قليلو البضاعة والتنقيب ؛ وبما اني منذ ان مارست الكتابة اخذت افتش وانقب عن حالة العراق الاجتماعية وما بلغ اليه هذا الصقع من العمران والتقدم والترقي، اظنني انى وقفت على اشياء لم يعثر عليها غيري ؛ وقد كتبت ما شاهدته ورأيته وعلمته وتوصلت اليه في عدة مقالات متسلسلة نشرتها في اكبر جرائد سورية كالمقتبس وغيرها، وبعض جرائد بغداد، بينت فيها باجلى وضوح، حالة العراق العلمية والزراعية والاجتماعية والادارية والسياسية ، وقد رفعت بها الستار عن سياسة الاجانب في العراق، وما يرمون اليه بسياستهم فيه ؛ وقد طلب مني من لا يسعني مخالفته ، ان ارصد مقالة تضم شتات تلك الفوائد الى فوائد اخرى جمعتها في اثناء ابحاثي المختلفة ، وان انشرها في احدى المجلات البغدادية ليطلع عليها الجمهور، فاجبت طلبه ، وقد شمرت عن ساعد الجهد للخوض في بحر هذا الموضوع ، فعسانا ان نتوصل به الى الغاية المطلوبة ، وهي اسعاد هذه الامة ورقيها . ان ربك على كل شيء قدير .

٢ نظرة في هبة العراق

اننا لا نريد ان نذكر هنا عن العراق ما قد اثبتته التواريخ اثبات الشمس في رابعة النهار فعلمه الخاص والعام ، بل الكبار والصغار ، واجمع عليه علماء

الاجتماع ؛ بل الذى اريد ان اعرضه على قراء (لغة العرب) هو ما اشرت اليه فى صدر هذه المقالة ولمحت اليه فى كلامى عن هيت (راجع لغة العرب ١ : ٢٤٩)

٣ حالة العراق الاجتماعية الحاضرة

ان صدرى ، وربك ، ليضيق ؛ بل ويقف قلمى عندما اريد ان اخوض فى هذا الموضوع ، لألم بحالة العراق العلمية والاجتماعية الحاضرة ، وما قضى به عليها الدهر الخؤون ، والطالع التعس ، من التقهقر والتأخر وتبديل الحال بما هو اتعس منها من ذل، وجهل، وفقر، وفقد رجال علم وعمل . فقد اصبح الوطن بين جاذب ودافع وعامل لخرابه وجاهل باصلاحه وضارٍ له غير نافع اياه . اللهم الا فى هذا العهد الجديد الذى تغيرت فيه الاحوال .

ولا ادرى ماالسبب لهذا التأخر؟ الا ان النواميس الطبيعية التى وضعها الحكيم ، جل وعلا ، هى اقوى دليل على اثبات الاسباب ؛ فقد قضى ربك ان يكون لكل شيء ناموس طبيعي يجذبه الى العلو ، ويرفعه الى فوق ، واذا فسد مجراه، عاد الى الوراء اوهوى الى تحت . وقد كانت هذه البلاد لما كان القائمون بها رجالاً يسيرون بها على مقتضى القانون والحكمة التى وضعها الله، سبباً لرقى الامة : منبع الحكمة، وكعبة العلم ، وام المدنية ، وعروس الحضارة والتقدم ، فى العلم والادب والصناعة والزراعة والتجارة والحكمة والفلسفة والهندسة والطب وغير ذلك. فنبغ فى ذلك الاوان اولئك الرجال الكبار الذين كانوا السبب الاعظم فى كشف كثير من الاسرار الغامضة فى عالم الطبيعة .

ذلك ولما كانت العربية تجلى عصرئذٍ فى وطننا باجلى محاسنها ، وابهى مناظرها ،وكان اذ ذاك قائد الامة واحداً ، وهو التعاون على حفظ كيان الدين والوطن والاتحاد ، وعلى السعى للحصول على السعادة المقدسة الدائمة، بلغت هذه الديار اقصى غايةٍ من الحضارة والعمران .

اما اليوم وقد بدل من على هذه الارض ، وتغيرت تلك الاحوال ، وطمست الآثار،وتهدمت صروح العلم ، وسلط ربك على هذه البلاد الغرق

، والحرق ، والطاعون ، والتفرقة ، غدت العربية تندب رجالها ، وتبكي المنازل ابطالها ، والمدارس طلابها ، وامست الى ما تراه ، اى لاتجد من الناس الا القليل ممن يعرف تاريخ بلاده ، وحياة آبائه ، او يحسن النطق بلغته . وهل بعد هذا الهوان العظيم هوان اعظم وادهم ؟!

وكلما سرحت طرفي في تاريخ هذه البلاد ، واخذت افتش عن تلك المعاهد والمنتديات ، وتلك المدارس والكليات ، وتلك المعالم والمستشفيات ، لااجد فيها الا آثاراً قائمة على جرف هار ، كالمستنصرية ، وقد اصبح قسم منها داراً للمكس ، وآخر مطبخاً للآكلين ، وشطراً منه مشرب قهوة للبطالين واهل الفراغ . فيا لخجل العراق والعراقيين ! وكلما اردت ان ارى رجالاً مثل الفارابي ، وابن سينا ، والبغدادي ، لايقع نظري الا على اناس افذاذ شغلتهم الحياة الدنيا عن السعي مثل ما سعى اليه اولئك الرجال ، ولا ارى الا مظاهر جلها البلاء الاكبر على البلاد ، والعباد .

٤ حدود العراق وقسماه

اختلفت حدود العراق باختلاف الاعصر والدول . قال ياقوت في معجم البلدان : « قال بعضهم : العراق هو السواد (١) ... وذهب آخرون فيما ذكر المدائني فقالوا : حده حفر ابي موسى من نجد ، وماسفل عن ذلك يقال له العراق . وقال قوم: العراق : الطور والجزيرة والعبر . والطور مابين ساتيدما (والمراد بساتيدما هنا جبل حمرين) الى دجلة والفرات . وقال ابن عياش : البحرين من ارض العراق . وقال المدائني : عمل العراق من هيت الى الصين والسند والهند والري وخراسان وسجستان وطبرستان الى الديلم والجبال . قال: واصبهان سنة العراق . وانما قالوا ذلك لان هذا كلام كان في ايام بني امية يليه والي العراق لا انه منه . والعراق هي بابل فقط كما تقدم . » اهـ

ومهما يكن من ارف العراق سابقاً ، فحدوده اليوم هي : الجزيرة في الشمال وخليج فارس في الجنوب ، وجبال لورستان وبعض خوزستان وشيء من عربستان

---

[١] السواد على الاصح هو الجزيرة والعراق معاً كما يحصل من كتب لغوي العرب ومؤرخيهم في العصور الاولى من ظهور الاسلام . [لغة العرب]

ودورقستان فى الشرق ، وباديه الشام او الحماد فى الغرب .

ويقسم العراق اليوم قسمين وكل قسم منهما عبارة عن ولايه قائمة بنفسها وهما : ولايه بغداد ، وولايه البصرة . وكلتاهما كبيرة تحتوى على عدة الويه وكثير من الاقضيه ، والوف من القرى والنواحى . ولهاتين الولايتين شان عظيم فى التاريخ سنأتى بذكره بحوله تعالى .

٥ اصل اسم العراق ومعناه واقوال العلماء فيه .

ذهب العلماء مذاهب شتى فى حقيقه هذا الاسم واصله ومعناه . قال ياقوت سميت العراق بذلك من عراق القربه ، وهو الخرز المثنى الذى فى اسفله ، اى انها اسفل ارض العرب . وقال ابو القاسم الزجاجى : قال ابن الاعرابى : سمى عراقاً لانه سفل عن نجد ودنا من البحر . اخذ من عراق القربه وهو الخرز الذى فى اسفلها . وانشد : « تكشرى مثل عراق الشنه » وانشد ايضاً :

لما رأينا دردرى وسنى وجبهتى مثل عراق الشن

متن علين ومتن متن

قال ولا يكون عراقها الا اسفلها من قربه او مزادة . قال : وقال غيره : العراق فى كلامهم الطير . قالوا وهو جمع عرقه ، والعرقه ضرب من الطير . ويقال ايضاً العراق جمع عرق . وقال قطرب : انما سمى العراق عراقاً لانه دنا من البحر . وفيه سباخ وشجر يقال استعرقت ابلهم ، اذا اتت ذلك الموضع وقال الخليل : العراق شاطى البحر وسمى العراق عراقاً لانه على شاطى دجلة والفرات مداً ، حتى يتصل بالبحر على طوله ، قال : وهو مشبه بعراق القربه ، وهو الذى يثنى منها فتخرز . وقال الاصمعى : هو معرب عن ايرانشهر ، وفيه بعد عن لفظه ، وان كانت العرب قد تتغلغل فى التعريب بما هو مثل ذلك ، ويقال : بل هو مأخوذ من عروق الشجر . والعراق من منابت الشجر فكأنه جمع عرق . وقال شمر : قال ابو عمرو : سميت العراق عراقاً لقربها من البحر قال : واهل الحجاز يسمون ما كان قريباً من البحر عراقاً ... وقال حمزة : الساحل بالفارسيه اسمه ايراه ، ولذلك سموا كورة اردشير خرة ، من ارض فارس ، ايراهستان لقربها من البحر فعربت العرب لفظ ايراه بالحاق القاف فقالوا :

ايراق . وقال حمزة في الموازنة : وواسطة مملكة الفرس العراق ، والعراق تعريب ايراق بالفاء . ومعناه مفيض الماء وحدور الماء . وذلك ان دجلة والفرات وناصرا تنصب من نواحي ارمينية وبند من بنود الروم الى ارض العراق وبها يقر قرارها فتسقى بقاعها وكان دار الملك من ارض العراق احداها عبر دجلة، والاخرى عبر الفرات، فهما بافيل وطوسفون، فعرب بافيل على بابل وعلى بابلون ايضاً، وطوسفون على طيسفون وطيسفونج. وقيل: سميت بذلك لاستواء ارضها حين خلت من جبال تعلو واودية تنخفض . والعراق: الاستواء كما في كلامهم قال الشاعر :

سقتم الى الحق معاً وساقوا سياق من ليس له عراق

اي استواء . » الى هنا كلام ياقوت . واصدق هذه الاقوال واوفقها للحقيقة: ان العراق هو تعريب « ايراه » وعليه اجماع العلماء من وطنيين واجانب . وهو رأينا ايضاً، وحجته ظاهرة من مناسبة الاسم للمسمى كما هو بين لادنى تامل .

٦ اديم العراق وهواؤه وتاثيره على سكانه

العراق اعدل ارض الله هواء واصحها مزاجا وماء ... وليس بالعراق مشات كمشاتي الجبال ، ولا مصيف كمصيف عمان ، ولا صواعق كصواعق تهامة ، ولا دماميل كدمامل الجزيرة ، ولا جرب كجرب الزنج، ولا طواعين كطواعين الشام، ولا اضحال كاضحال البحرين، ولا حمى كحمى خيبر، ولا كزاز كزاز سيراف ولا كخرارات الاهواز ، ولا كافاعي سجستان ، وثعابين مصر ، وعقارب نصيبين، ولا يتلون هواؤها تلون هواء مصر، وهو الهواء الذي لم يجعل الله فيه في ارزاق اهله نصيباً من الرجمة التي شرها الله بين عباده وبلاده حتى ضارع في ذلك عدن ابين . (ياقوت)

والحر والبرد شديدان في العراق ولكنهما في اغلب الاحايين يابسان . وقد راينا الشتاء اشتد، حتى نزل ميزان الحرارة الى ٨ درجات تحت الصفر في المدن . و ١٦ درجة في البرية، فقتل مئات من الناس والحيوان والنبات في ليلة واحدة . ويشتد الحر في كل سنة حتى يبلغ ٤٨ درجة في الظل، وكان قبل ٢٥ سنة يبلغ ٥٠

درجة . على انه يحتمل بعض الاحتمال اذا كان يابساً، والهواء غربياً اوشمالياً؛ اما اذا كان شرقياً فتضيق الانفس وتحرج الصدور ويشتهي السكان سكنى القبور. وفي جنوبي العراق، يقتل الحر كل سنة عدة اناس بامراض تتولد من حمارة القيظ .

وقد لاحظ بعضهم ان بين مناخ العراق ومناخ يعقوب آباد وپشاور (من ديار الهند العالية) مشابهة عظيمة . قال السر وليم ولكوكس: « ان حالة الهواء القصوى في نهار ايام الربيع تختلف بين ٢ ، ٢٣ درجة في ت ٢ الى ٤ ، ١٥ درجة في كانون الثاني؛ ثم ترتفع رويداً رويداً حتى تبلغ ٧ ، ٢٨ في نيسان . ومتوسط حالة الهواء في يعقوب آباد في مثل تلك الايام وتلك الساعات هو ١٠ ، ٢٣ في كانون الثاني و ٥ ، ١٧ درجة في پشاور في ذلك الشهر . وعليه فتكون حالة الهواء في بغداد ادنى بكثير في قلب الشتاء منها في الاصقاع الواقعة في ديار الهند العليا وعلى ذلك الخط عرضاً . ولعل ذلك ناتج من تراكم الثلوج البعيدة الاكناف التي تكسو الديار في الشمال الشرقي من العراق ، اي بلاد كردستان وارمنية .

وحالة الهواء في الليل تنزل في كانون الثاني الى الدرجة ٢ ، ٤ في بغداد . وفي الهند العليا تكون الدرجة الدنيا في شهر كانون الاول فانها تنزل الى الدرجة ٩ ، ٣ في پشاور و ٦ ، ٤ في لاهور و ٣ ، ٦ في يعقوب آباد . ومن ثم تكون حالة الهواء في بغداد اوطأ مما هي عليه في سائر مدن الهند العليا اذا كانت على خط ارتفاع بغداد او اعلى منها بقليل .»

٧ الضغط الجوي

اعلى ضغط جوي في بغداد يقع في شهر كانون الاول فيبلغ متوسطه ٧٦٨ مليمتراً ويتزل قليلاً جداً في شهري كانون الثاني وشباط . ثم بعد ذلك يهوي سريعاً الى شهر تموز فيكون ٧٥٣ مليمتراً تقريباً . ثم يصعد صعوداً متئداً في آب، وبعد ذلك يصعد صعوداً وحياً متواصلا الى شهر كانون الاول . ومحيان الدرجة العليا والسفلى يكون في مثل ذينك الشهرين في ديار الهند الشمالية اي في شهري كانون الاول وتموز . وتكون فسحة التراوح السنوي ١٦ مليمتراً وهي

اغلى بقليل فى پشاور (١٥ درجة) منها فى لاهور (١٤ درجة) وهى ادنى بقليل فى يعقوب آباد (١٥، ١٦ درجة) . وفى ايام الشتاء توجد بغداد (وهى معدودة من المدن المتصدرة شرقى العراق) قريبة من محور خط منحنٍ وهى عالى الضغط اومقاوم للرياح الزعازع يمتد من آسيا الوسطى الى بحر الروم . وعلى طول هذا المحور يزداد الضغط فى كانون الاول وكانون الثانى وشباط من نحو ٧٦٢ مليمتراً فى غربى بحر الروم، الى نحو ٧٦٣ مليمتراً فى صقع متوسط قريب من بحيرة بيكال . هذا وفى ابان الحر اليابس تعد بغداد داخلة فى الخط المنحنى، خط ضغط قارة آسية الجنوبية، وهو الموطن الممتاز كل الامتياز من هذا الصقع فى أوان البرشكال (١) الجنوبى الغربى . والصقع المتوسط يمتد من ساحل جزيرة العرب الشمالى الشرقى (اى عمان) الى الجنوب الغربى من پنجاب، وصورته خط متشابه الامتداد او يكاد، وهو يكون ٧٤٨ مليمتراً فى حزيران، و ٧٤٧ فى تموز، و ٧٤٩ فى آب، وهو خط يكاد لا يتغير عن موضعه فى هذه الاشهر . وعليه فيكون الضغط الهوائى فى وادى الفراتين طول السنة اوطأ مما هو عليه فى تلك البلاد الهندية . ومتوسطها لا يتغير تغيراً عظيما فى مدة اشهر السنة (معرب عن ويلكوكس)

٨ السحب فى العراق

ان مقدار السحب التى تبرقع وجه سماء العراق نزر جداً فى مدة السنة . وهى لا تكاد تكون شيئاً، فى اوان القيظ ولا تبلغ الا ٥، ٠ (والسماء اذا تغشت كلها تبلغ ١٠) وفى ابان الرطوبة تبلغ ٨، ١ فى كانون الاول، و ٧، ٢ فى كانون الثانى وشباط . والغيوم فى هذا الفصل هى اقل مما هى عليه فى مثل هذا الفصل فى ديار الهند العالية، وان كانت عالها واحدة على ما يظن، اى نشؤ او تقرب هبوط عظيم، لكنه واطئ، او بعبارة اخرى، اضطراب الجو فى فصل الصيف . وهذه الانقلابات تنشأ فى اغلب الاحيان فى فارس، وتولد سحباً جهة

(١) البرشكال هو البرصات بلسان العراقيين فى يومنا هذا . ويراد به « المطر الجميم » بالعربية الفصحى . فليحفظ . راجع تاريخ البيرونى الطبعة الافرنجية ص ٩٦ و ١٠٣ . [لغة العرب]

فى فارس نفسها وفى بلاد البلوص (بلوجستان) وافغانستان وفى ربوع الهند الشماليه . وتعد بغداد من البلاد الداخلة فى الصقع الغربى التى تقل سحبه غايه القلة .[عن وليم ولكوكس]

٩ المطر

تخمن مقدار الماء الممطور فى السنة ٢١٢ مليمتراً، منه ٢٠٣ راجع الى مطر الشتاء . وعدد ايام المطر هو ٧٠ ، ١٨ فقط فى السنه (ومقدار ماء المطر فى اليوم مليمتران ونصف على الاقل) . والمطر يسقط سقوطاً منتظماً فى فصل البرد من تشرين الثانى الى آذار . واعظم قدر المطر وقع فى العراق هو الذى كان فى سنه ١٨٩٤ فان مقياس المطر بلغ مائتى مليمتر ومليمتراً . سقط منه ١٥٨ مليمتراً فى يوم واحد، وهى اعظم كميه سقطت فى العراق فى مدة ٢٤ ساعه . وعليه فيكون معظم المطر فى الشتاء ومزيته مزيه مطر فارس وبلاد البلوص والافغان . الا انه دون مطر تلك البلاد لموقع العراق الذى هو دون تلك البلاد ارتفاعاً (عن وليم ولكوكس) بغداد : ابرهيم حلمى

ابنة اليوم وحقيقتها واسماؤها

ابنه اليوم، وتجمع على بنات اليوم، هى هذه الدويبه التى وصفها وصفاً دقيقاً صاحب مقالة « امثال عوام العراق »، وهذا الاسم هو من وضعنا وهو تعريب اللفظة الافرنجيه Ephémère او الانكليزيه Ephemera وكلاهما من اليونانيه Ephêmeros ومعناها : « ذو او ذات يوم واحد » ونحن نصفها هنا وصفاً علمياً على ماجاء فى كتب اهل الفن ، فنقول :

ابنه اليوم جنس من الدويبات من رتبه العصبيه الاجنحه Névroptères من فصيلة المخصفيه القرن Subulicornes، راس او اصل قبيلة بنات اليوم type de la tribu des éphémérines طويلة الجسم، لونها الى البياض او الى الصفرة، (اوكما قال كاتبنا المحقق: الى الزهرة) واجنحتها طويلة ومثلثه ومرتفعه الى فوق فى وقت الراحه . واجنحتها السفلى فى غايه الصغر وكانها فص من فصوص الاجنحه الخارجيه . وينتهى مؤخرها بخيطين فى الذكور وبثلاثه خيوط فى الاناث، وللذكور ماعدا ذلك مقراضان واقعان فى الاسفل .